حوار مع السيد محمد الحامي، مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تازة ـ الحسيمة ـ تاونات

إعداد فاطمة بوخريص

هل بإمكانكم التفضل بعرض الحالة الراهنة لتدريس الأمازيغية على مستوى الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الحسيمة تازة تاونات، علماً بأن هذه الأكاديمية من بين مؤسسات أقاليم شمال المملكة التي انخرطت باكراً في مسلسل إدماج الأمازيغية في المنظومة التربوية، من خلال تنظيمها لجملة من التكوينات لفائدة المكوّنين، طبقا لمقتضيات مختلف الدوريات والمذكرات الوزارية ذات الصلة (108، 82، 90، 130، 133)، وبتعاون مع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، في إطار اتفاقية الشراكة القائمة بين هذا الأخير ووزارة التربية الوطنية، والموقعة سنة 2003 ؟

أتقدم في البداية بشكري الخالص لهيئة تحرير مجلة **"أسيناگ"** على استضافة الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تازة ـ الحسيمة ـ تاونات، متمنيا لهذا المنبر العلمي الجاد المزيد من النجاح والتوفيق، والذي يشكل بحق إضافة نوعية إلى حقل البحث العلمي في مجال اللغة والثقافة الأمازيغيتين.

لابد من الإشارة بداية، إلى أن إدماج تدريس اللغة الأمازيغية في المسارات الدراسية ليس حدثا تربويا عاديا، بالنظر إلى حمولته الفكرية والثقافية والتربوية، ولعل خير دليل على ذلك هو العناية التي يوليها صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، للغة والثقافة الأمازيغيتين، وتوجيهاته السامية للنهوض بهما وإدماجهما في المجال التربوي والاجتماعي والثقافي والإعلامي، ويعتبر خطاب العرش 30 يوليوز 2001 وخطاب أجدير 17 أكتوبر 2001 الانطلاقة الفعلية لهذا المشروع التربوي الهام.

أما بالنسبة للحالة الراهنة لتدريس الأمازيغية على مستوى الجهة، فإن الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تازة ـ الحسيمة ـ تاونات قد انخرطت في هذا الورش التربوي الهام منذ انطلاقه، وتحديدا منذ الموسم الدراسي 2003/2004 ، حيث أولت الأكاديمية مسألة إدماج تدريس اللغة الأمازيغية في المسارات الدراسية أهمية خاصة، سواء تعلق الأمر بالتكوين المستمر، أو بتوفير المدرسين والمؤسسات التعليمية المؤهلة لعملية الإدماج، كما عملت الأكاديمية على تقديم حصيلة ما أنجزته في هذا الإطار خلال مجالسها الإدارية المتعاقبة. واسمحوا لي أن أستعرض عليكم بإيجاز شديد حصيلة ما أنجزته الأكاديمية منذ سنة 2003 من أجل المساهمة في إدماج اللغة الأمازيغية في المسارات الدراسية. فخلال الموسم الدراسي 2003/2004، تم الشروع في تدريس اللغة الأمازيغية ـ الفرعان المتداولان محليا ـ في السنة الأولى من التعليم الابتدائي بـ 33 مؤسسة تعليمية ابتدائية من طرف 111 أستاذا يؤطرهم ستة مفتشين تابعين لنيابات الجهة، ومؤطرين موفدين من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. وخلال موسم 2004/2005، نظمت الأكاديمية دورتين تكوينيتين لفائدة مفتشي التعليم الابتدائي المكلفين بتأطير مدرسي الأمازيغية، وقد استفاد من اللقاء التكويني الأول الذي احتضنته أكاديمية الجهة الشرقية، أيام 26 و27 و 28 و 29 يوليوز 2004، حوالي 21 مفتشا. كما استفاد أربعة مفتشين من الدورة المنظمة من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية يومي 3 و 4 شتنبر 2004، وقد تم الرفع ـ خلال نفس الموسم ـ من عدد المدرسين المكلفين بتدريس اللغة الأمازيغية إلى 290 مدرسا، مع تسجيل ارتفاع عدد المؤسسات الابتدائية التي تدرس فيها الأمازيغية بالجهة إلى 91 مؤسسة. وتم تنظيم دورتين تكوينيتين لفائدة الفوج الأول من الأساتذة المكلفين بتدريس اللغة الأمازيغية بكل من نيابتي تازة والحسيمة، أيام 29 و 30 نونبر وفاتح دجنبر2004.

ولترجمة الاهتمام الذي توليه الأكاديمية لهذا الموضوع إلى إنجازات عملية، عملت خلال الموسم الدراسي 2005/2006 على توسيع قاعدة تدريس اللغة الأمازيغية، على المستوى الأفقي، بالرفع من عدد مؤسسات التعليم الابتدائي المتوفرة على مدرسين ناطقين باللغة الأمازيغية في هذا

السلك التعليمي، إضافة إلى إدراج أقسام جديدة بنفس المستوى. وعموديا، عملت على إضافة مستوى السنة الثانية من التعليم الابتدائي في المؤسسات التعليمية التي تم حصرها سابقا، وإدراج أقسام السنة الثالثة من التعليم الابتدائي في المؤسسات المكونة للنواة الأصلية.

وموازاة مع عملية توسيع قاعدة تدريس اللغة الأمازيغية، واصلت الأكاديمية تكوين أساتذة التعليم الابتدائي المعنيين وتأطيرهم، بتنسيق مع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مع التركيز على المدرسين الجدد الذين لم يسبق لهم أن استفادوا من أي تكوين في هذا المجال. وهكذا نظمت الأكاديمية دورتين تكوينيتين، استفاد منهما 589 مدرسا، بتأطير الأساتذة الباحثين المنتمين إلى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية والمفتشين التابعين للنيابات الثلاث. وتميز الموسم الدراسي 2006/2007 بانطلاق تدريس اللغة الأمازيغية بالمستوى الرابع. وقد اقتضت عملية تتبع هذا المشروع ضرورة إحداث خلية جهوية وخلايا إقليمية تناط بها مختلف العمليات المتصلة بمخطط إدماج اللغة الأمازيغية في المسارات الدراسية.

وخلال الموسم الدراسي 2007/2008، قامت الأكاديمية، بتنسيق مع النيابات الثلاث، بإعداد خريطة تربوية لشبكة المدارس الابتدائية الجديدة التي سيشملها تدريس اللغة الأمازيغية، وذلك من خلال انتقاء المدارس التي يتوفر فيها أساتذة التعليم الابتدائي الناطقين باللغة الأمازيغية. وهكذا بلغ عدد المؤسسات التي تدرس بها هذه اللغة 184، وبلغ عدد المدرسين 1032. وخلال الموسم التربوي الحالي بلغ عدد المؤسسات التي تدرس بها الأمازيغية 200، وبلغ عدد المدرسين 1.168. كما عملت الأكاديمية، خلال الفترة الممتدة من دجنبر 2007 إلى يونيو 2008 ، على تكوين 266 أستاذا(ة) من مدرسي الأمازيغية خلال ثلاث دورات. ونظرا لكون تدريس الأمازيغية يتطلب تأطيرا وتتبعا من طرف هيئة الإدارة التربوية، واعتبارا لأهمية هذه الأخيرة في ضمان استمرارية عملية الإدماج بالمؤسسات التعليمية، نظمت الأكاديمية تكوينات لفائدة 200 من مديري/ات المؤسسات المعنية بتدريس الأمازيغية.

كما تلاحظون، انطلقنا سنة 2003 بـ 33 مؤسسة تعليمية تدرس بها الأمازيغية لنصل في سنة 2008 إلى 200، وبـ 111 مدرسا لنصل إلى 1.168 خلال 2008، رغم أن هذه المجهودات تعترضها مجموعة من الصعوبات والإكراهات تتعلق أساسا بقلة الموارد البشرية المؤهلة لمواكبة تعميم تدريس الأمازيغية بجميع المؤسسات التعليمية بالسلك الابتدائي.

ما هي في نظركم المشاكل التي تعترض إدماج الأمازيغية في المدرسة على مستوى الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تازة الحسيمة تاونات؟ وما هي الحلول التي ترتؤونها في الآماد القريبة والمتوسطة والبعيدة؟

كما تعلمون، فإن إدماج تدريس اللغة الأمازيغية في المسارات الدراسية قد استكمل سنته الخامسة، وبالتالي فالموضوع برمته ما يزال في البداية، وطبيعي أن ترتبط به صعوبات وإكراهات بداية المشوار. وإجمالا يمكن التمييز بين نوعين من الصعوبات:

أولا- صعوبات لها علاقة بتوسيع شبكة المدارس المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية، وتتمثل أساسا في عدم استقرار المدرسين المعنيين بتدريس اللغة الأمازيغية، وهذا ما يجعل معطيات الخريطة الجهوية تتغير سنويا، سواء بالنسبة لعدد المؤسسات التعليمية المعنية، أو بالنسبة لعدد المدرسين الناطقين باللغة الأمازيغية، مما يستوجب تحيينها باستمرار. وحتى عندما يتم تكوين الأطر في هذا المجال، فإن الحركة الانتقالية كثيرا ما تعيق استمرار تحقيق الأثر المضاعف على مستوى الأكاديمية. فانتقال إطار مكوّن في اللغة الأمازيغية، دون تعويضه، يؤدي إلى توقف تدريس الأمازيغية في المؤسسة المعنية، وبالتالي يصعب تحقيق التراكم الكمي والنوعي المطلوبين. ومن الصعوبات المسجلة أيضا، تباين عدد مؤسسات التعليم الابتدائي المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية وأعداد المدرسين الناطقين بها ما بين النيابات التابعة للجهة، إذ تبلغ نسبة المؤسسات التعليمية التي

تدرس بها الأمازيغية بنيابة الحسيمة 53% من مجموع المؤسسات المعنية بالجهة، وما يقرب من 71% من عدد المدرسين. تليها في المرتبة الثانية نيابة تازة بـ 37.5 % من المدارس و27.5% من الأساتذة، وأخيرا نيابة تاونات بـ 5% من المؤسسات التعليمية و10% من المدرسين، وهو الأمر الذي يؤثر على مختلف العمليات المتصلة بتدبير التكوينات الملائمة لهذه الفئة، بالنظر إلى محدودية عدد الأطر التربوية المكلفة بالتكوين، وضعف الطاقة الإيوائية خصوصا على مستوى نيابة الحسيمة. وهذا ما يستوجب إحداث مركز للتكوين المستمر بنيابة الحسيمة في الأمد القصير، مع العمل على إحداث نواة من المكونين داخل كل نيابة تضطلع بمهمة تأطير المدرسين الجدد. والحديث عن التأطير يحيلنا مباشرة على النقص الملحوظ في عدد المفتشين المكلفين بالتكوين والتأطير، حيث لا يتجاوز عددهم بنيابة تازة 05 مفتشين، ومفتشين اثنين بنيابة الحسيمة، وعدم توفر نيابة تاونات على مفتشين ناطقين بالأمازيغية، خصوصا بعد إدراج معيار إتقان اللغة الأمازيغية كشرط في انتقاء هذه الفئة. ناهيك عن تشتت وتباعد المؤسسات التعليمية المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية وما يطرحه من صعوبات في التأطير.

إن عدم كفاية الأساتذة الناطقين بالأمازيغية يطرح صعوبة مواصلة التعميم الأفقي، مما يستوجب توفير أساتذة متخصصين يمكن الشروع فورا في تكوينهم بمراكز التكوين.

والنوع الثاني من الصعوبات ذو طبيعة تربوية وديداكتيكية؛ ويتعلق الأمر بالفروق الفردية بين التلاميذ الناطقين بالأمازيغية وغير الناطقين بها في القسم الواحد، مما يستلزم إعداد المدرسين لتدبير هذه الفوارق في إطار التحكم في البيداغوجيا الفارقية. هذا بالإضافة إلى الإشكالات التي يطرحها تدريس الأمازيغية في الأقسام المشتركة، وتحديدا الصعوبات المعجمية المتمثلة في توظيف كلمات غير مألوفة لدى التلاميذ، وهو الأمر الذي يستوجب اعتماد المرجعية اللغوية المحلية على الأمد القصير، والاستفادة من نتائج البحوث المخبرية التي يقوم بها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في إطار معيرة اللغة الأمازيغية .

عموما، لا يمكن الحديث في الوضع الراهن عن حلول شافية، بل فقط عن إجراءات تدبيرية ميسرة لإدماج تدريجي للغة الأمازيغية في المسارات الدراسية، فمثلا، سيكون من المفيد جدا ـ حسب اعتقادي ـ إدماج الأمازيغية في مراكز تكوين الأساتذة من أجل تمكين المدرسين من تكوين أساسي ومتين في هذه اللغة، وفي انتظار ذلك، يجب الرفع من وتيرة التكوين المستمر كيفا وكما لتأهيل المدرسين الملقنين لهذه اللغة، وخاصة غير الناطقين بها، وتكثيف الدروس التجريبية. كما أنه آن الأوان لإعطاء البحث العلمي والابتكار في مجال تدريس الأمازيغية دفعة قوية من أجل إغناء الرصيد المصطلحي لهذه اللغة، وتهييء المعاجم الكافية في مختلف المجالات لجعلها تساير التطورات المتسارعة التي يعرفها المجال العلمي والتكنولوجي من جهة، ولإغناء الخزانة الأمازيغية التي يمكن أن يستفيد منها المدرسون والباحثون عموما، من جهة أخرى. كما أن إدماج اللغة الأمازيغية في المنهاج التعليمي وتعميم تدريسها بجميع المؤسسات التعليمية أصبح أمرا ملحا مع التركيز على استحضار البعد الثقافي في تدريس هذه المادة. وبالطبع، فإن ضمان الاستمرارية والتطور لهذه اللغة مرتبط بخلق امتداد لها على مستوى التعليم العالي بخلق شعب ومسالك لها في الجامعة.

كيف تقيّمون تعميم تدريس الأمازيغية عموديّاً، من حيث الانتقال التدَرُّجي إلى مختلف الأسلاك، وكذا على المستوى الأفقي ؟

من خلال المعطيات الإحصائية التي تتوفر عليها الأكاديمية، تجدر الإشارة إلى أن عملية تعميم تدريس اللغة الأمازيغية عموديا وأفقيا قد جرت في ظروف عادية، تنفيذا لمخطط الوزارة في هذا الشأن، حيث بلغت نسبة المدارس المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية بحلول الموسم الدراسي 2009 - 2008 40% (200 مدرسة من أصل 499). وقد واكب التوسع الأفقي تعميما عموديا

بشكل تدريجي. وبالرغم من ذلك، يمكن إبداء مجموعة من الملاحظات، أهمها تباين التوسع العمودي ما بين النيابات الثلاث المكونة للجهة، إذ تصل نسبة المدارس المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية بنيابة الحسيمة إلى 82.8% (106 مدرسة من أصل 128)، تليها كل من نيابة تازة بنسبة 37.7% (75 مدرسة من أصل 199) وتاونات بنسبة 11% (19 مدرسة من أصل 172)، وهنا نسجل كأكاديمية عدم إحراز أي توسع على المستويين العمودي والأفقي بنيابة تاونات خلال الموسم الدراسي 2009 - 2008، وذلك نظرا لغياب الأساتذة الناطقين باللغة الأمازيغية اعتبارا للخصوصيات اللغوية للمنطقة، مما يجعل الأكاديمية أمام تحدي تجاوز الصعوبات التي تعترض سيرورة التعميم الأفقي والعمودي.

ما هي الإستراتيجية (أو الإستراتيجيات) المتعيّن اعتمادها لإنجاح عملية إدماج الأمازيغية في المدرسة، ومن ثمّ الانتقال من مرحلة "التجربة" إلى مرحلة تعليم مندمج يحتل مكانته ضمن المنظومة التربوية؟

تجدر الإشارة إلى أن الوزارة قد أفردت في إطار البرنامج الاستعجالي 2012 - 2009، مشروعا كاملا (مشروع رقم 20) لمكون اللغة يحمل عنوان "التحكم في اللغات"، والذي سيضطلع به المجلس الأعلى للتعليم من خلال إعداد تصميم مديري يتضمن كافة مكونات المشروع. وأعتقد أن أية محاولة لإرساء استراتيجية متقدمة لإدماج الأمازيغية ضمن المنظومة التربوية يجب أن تتم وفق رؤية شمولية لتدريس اللغات، مع استحضار المعادلة اللغوية ببلادنا وتنوع اللهجات وثنائية لغة التدريس، واستثمار الرصيد العلمي المتجمع في إطار مشروع التهيئة اللغوية الذي أطلقه المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

ماهو تقييمكم للخمس سنوات من تدريس الأمازيغية، علما بأن هذا التعليم في سنته السادسة راهناً؟

لقد تراكمت لدى مختلف الفاعلين المهتمين بتدريس الأمازيغية وإدماجها ضمن المنظومة التربوية تجربة غنية في هذا المجال، كما تم قطع أشواط مهمة في عملية التعميم التدريجي لهذه اللغة أفقيا وعموديا، وتنتظرنا أشواط أخرى، لا تقل أهمية عما تم إنجازه، حالما يتم الشروع في بلورة معالم الاستراتيجية المتقدمة التي أشرنا إليها سابقا.